كانت الديموقراطية التمثيلية ولا زالت أحد أشكال الحكم رواجا في العالم ومطلبا لكثير من الشعوب التي انتشر بينها مقولة "No Taxation without Representation” " أي "لا ضرائب بدون تمثيل". أي أن للشعب تعيين ممثلين له يراعون مصالحه العامة ويقومون بدورالرقابة والتشريع. وقد ظهرت الديموقراطية التداولية في القرن التاسع عشر بصورة مختلفة نوعا ما عن الشكل الحالي لها. وقد عرف الباحث البريطاني Anthony Giddens الديموقراطية التداولية بأنها: "صيغة لنظام حكم يتسم بانتخابات منتظمة وبالاقتراع العام وبحرية الفكر والحق العام في الترشح للمناصب العامة وتشكيل روابط سياسية”، كما خلص إلى أن الديمقراطية التمثيلية يعنى بها الحكم بواسطة جماعات تفصل بينها وبين الناخب العادي ويخضع غالبا لهيمنة -اهتمامات -سياسية حزبية والهدف منهل هو تقاسم المخاطر الناجمة عن الحربين العالميتين بين الحاكمين والمحكومين. وقد اعترت هذا الشكل من أشكال الحكم كثير من الانتقاد بأنها لا تخدم ولا تصب في الهدف الأساسي للديموقراطية وهي مشاركة الشعب في حكم نفسه. حيث تشكلت على مر السنين وفي مختلف الديموقراطيات التمثيلية ما يعرف ب "النخبة السياسية".

نظرية النخبة السياسية :

في العلوم السياسية وعلم الاجتماع ، تعتبر نظرية النخبة نظرية للدولة تسعى إلى وصف وشرح علاقات القوة في المجتمع المعاصر. تفترض النظرية أن أقلية صغيرة ، تتكون من أعضاء النخبة الاقتصادية وشبكات تخطيط السياسات ، تمتلك السلطة الأكبر - وأن هذه السلطة مستقلة عن الانتخابات الديمقراطية. وهناك نظرات عديدة لهذه النظرية أشير بإيجاز إلى بعضها في ما يلي:

1. النظرة القديمة لنظرية النخبة:

يرى بُولِيبِيُوس – وهو مؤرخ وسياسي يوناني، ولد حوالي عام 200 ق.م- أن ما نطلق عليه بالمصطلح المعاصر"نظرية النخبة" ما هو إلا حكم فرد مطلق أو ما يمسمى ب"أوتوقراطية". حيث يعتقد أن جميع الأشكال الثلاثة المانحة للسلطة السياسية، ستفسد بمرور الوقت إن لم تكن هناك موازنة وفصل بينها حيث تتحول الملكية إلى ديكتاتورية، والديموقراطية إلى حكم غوغاء وحكم النخبة يفسد ويتحول إلى "أوليغارشية". ويعزوا أسباب ذلك إلى ضعف الرقابة والمحاسبة.

1. نظرة المدرسة الإيطالية:

شارك في تأسيس المدرسة النخبوية الإيطالية فيلفريدو باريتو (1848-1923) ، وجايتانو موسكا (1858-1941) ، وروبرت ميشيلز (1876-1936) ، وأسهمت في صياغة نظرية النخبة المستقبلية في الغرب. يمكن صياغة النظرية الايطالية في فكرتين رئيستين:

الأولى: أن القوة تكمن في موقع السلطة في المؤسسات الاقتصادية والسياسية الرئيسية.

الثانية: الفروقات الفردية التي تفرق بين النخب هو أن لديهم ميزات فردية مثل: الذكاء والمهارات والمصالح الشخصية في الحكومة، حيث يعتبر الباقون غير أكفاء للقيام بالمهام الحكومية.

1. فلفردو بريتو:

أكد على التفوق النفسي والذكاء حيث أن أصحاب هذه الميزات هم أكثر تفوقا من غيرهم وأكثر إنجازا. وقد قسم النخب إلى قسمين: النخبة الحاكمة والنخبة غير الحاكمة. وأكد أن النخبة يمكن استبدالها بأخرى.

1. جيتانو موسكا:

أكد على السمات السوسيولوجية والشخصية للنخب، حيث اعتبر النخب أقلية منظمة واعتبر الجماهير أغلبية غير منظمة. واعتقد أن الطبقة الحاكمة تتكون من النخبة الحاكمة والنخب المنبثقة منها. ويقسم العالم إلى مجموعتين: طبقة السياسية وطبقة غير سياسية

يؤكد موسكا أن النخب تتمتع بالتفوق الفكري والأخلاقي والمادي الذي يعطيهم الاحترام والتأثير.

1. روبرت مشيلز:

أوجد "قانون حديد الأوليغارشية" والذي يفترض أن الجماعات الاجتماعية والسياسية يحكمون من قبل أفراد معدودين، ويعتقد أن جميع التنظيمات هي بالأساس نخبوية وأن النخب لديها ثلاثة مبادئ أساسية تساهم في الهيكلة البيروقراطية للتنظيم السياسي: الحاجة للقادة والموظفين المتخصصين، والاستفادة من التسهيلات من قبل قادة المنظمة، بالإضافة إلى أهمية السمات الشخصية للقادة.

وفي خضم هكذا سلطة متداولة بين هذه النخب قد ينعدم الهدف الأساسي للديموقراطية، حيث يتركز اهتمام النخبة على الإبقاء على امتيازاتهم ومكانتهم ضاربين بمصلحة الناخبين عرض الحائط. فتجد السياسي لا يكاد يعرف ناخبيه إلا حين الانتتخاب (إن كان ثمة انتخابات نزيهة) وتتحد النخب المختلفة آيديلوجيا للحفاظ على مكتسباتهم على حساب الأغلبية. فتتركز هيمنة  
  
وقد عرض يعضهم وجها آخر للديموقراطية بديلا عن التمثيلية وهي الديموقراطية التداولية التشاورية والتي يرجع فيها الشأن إلى عامة الشعب. وقد أسس يورغن هابرماس لنظريته حول الديموقراطية التداولية أو التشاورية، وربط الفعل السياسي بمجال ما بين ذاتي عكس الطرح الأول الذي يقوم على المجال الذاتي الفردي. ظهرت الديموقراطية التشاورية في تسعينيات القرن الماضي في خضم سلسلة التحولات السياسية والاقتصادية والتاريخية التي عرفها العالم كانهيار المعسكر الشرقي وتطور المجتمع الرأسمالي وتراجع الأيديولوجيات العسكرية. فقام هابرماس بنقد نموذج فلسفة الوعي المتمركزة حول الذات والتي تجعل أساس الفعل السياسي مرتبطا بوعي الفرد المعزول، وربط الفعل السياسي بالوعي المشترك.

تقوم هذه النظرة على إحياء المناقشة والتفكير التأملي بين أعداد كبيرة من المواطنين يتم من خلالها التعرف على آرائهم وعرضها على صناع القرار. واعتمد هابرماس ثلاثة مفاهيم رئيسية في صياغة الديموقراطية التداولية وهي: العقلانية وتتجسد في دور العقل في تبادل الحجج، والسلطة التي توجد بداخل الإدارة، والرأي العام والذي يشارك في التوجيه ولا يهيمن. والمبادئ العامة التي تقوم عليها الديموقراطية التداولية فهي: سيادة الشعب التي تقرر أن السلطة السياسية لابد أن توفر للمواطنين شروطا خاصة للحوار والنقاش، ومبدأ حكم القانون والفصل بين السلطات وللمواطنين حق التمثيل عن طريق ممثيلهم في البرلمان، وبناء مجتمع مدني حر تتوحد فيه الحرية والتعددية ويشكل ميدانا شعبيا غير رسمي يسيطر على مؤسسات الدولة.

وبفضل التقدم التقني أصبح المجال العام متاحا للجميع أكثر من أي وقت مضى، فأصبح الجميع قادرا على المشاركة في النقاشات وأصبح لدى كلٍ القدرة على المساهمة برأيه في صنع القرار. ومنصة تويتر تعد أحد أبرز أشكال هذه الفضاءات العامة حيث باتت وسيلة من وسائل الضغط على الحكومات، فأصبحت بعض الحكومات تجري استفتاءات غير رسمية لقياس مدى رضا أو سخط الشعب عن قرار معين، وهو أمر يمكن تحسينه وتقنينه لاحقا لاشراك عموم الشعب في صنع القرار. وفي بعض الدول أخذت المساحات أو ال Spaces بالانتشار فتجد أن الناخبين يقومون بطرح أسئلتهم وآرائهم بشأن قضية ما على صناع القرار والمشرعين. وهذا شكل من أشكال الديموقراطية التشاورية وبرأيي أن المفاهيم المركزية للديموقراطية التشاورية يمكن تحقيقها أكثر من أي وقت مضى بفضل سهولة الوصول التي وفرتها أدوات التقنية الحديثة.